اللهمّ ولِيَدَيْهِ فاغفر

دروس وعبر

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذه الورقات عبارة عن قصّة لأحد الصحابة ﷺ فَعَل بنفسه ، فِعْلا مات بسببه .وهي قصّة أعجبتني ، فأحببت عَرْضها ، وتقديمها ، بفوائدها المستنبطة منها . وقد جعلت عنوانها من الحديث :(اللهم وليديه فاغفر) .

وخطة الكتاب : بعد هذه المقدّمة ، ذكر الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، ولم استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بواحدة .

وقد اجتهدت –قدر استطاعتي– في الاستنباط ، واستخراج الفوائد، فإن أصبت فهو من الله ، وهذا ما أرجو ، وإن أخطأت فمن نفسي ، والشيطان ، وأستغفر الله من ذلك .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه ، وقارئه، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

القصّـــة

عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي، أتى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، هل لك في حِصْنٍ حَصِين ومَنَعَة؟ – قال: حصن كان لدَوْس في الجاهلية – فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذَخَرَ الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة، فمرض، فجَزِع، فأخذ مَشَاقِصَ له، فقطع بها بَرَاجِمَه، فشَخَبَتْ يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مُغَطّيا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ ، فقال: ما لي أراك مُغَطّيا يديك؟ قال: قيل لي: لن نُصْلِحَ مِنْك ما أفسدّتَ، فقصّها الطفيل على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم وليديه فاغفر».[1]

(١) صحيح مسلم ١٠٨/١ رقم ١١٦ .

الفوائد والدروس المستنبطة من القصــة

١- امتنعَ رسول الله ﷺ من الحصن ؛ لأنّ التَّحَصُّنَ بالجدران فعل الجبان، وإنما التحصّن بالسيوف والمبارزة وهو فعل الشجاع.وسُمّي الحِصْن حِصْناً لأنّه يمنع صاحبه الذي بداخله . وهذا إنما عرضه عليه لما كان بمكة.

٢- قال ابن الأنباري: والبَرَاجِمُ عند العرب: الفصوص التي في فضول ظهور الأصابع تبدو إذا جمعت، وتغمض إذا بسطت.والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة. قال في المفاتيح:(مفاصل الأصابع الأربعة: الأول الرَّوَاجب، ثم البَرَاجم، ثم البنان، ثم الأنامل، فالرواجب: جمع راجبة، وهي متصلة بالكف، والبراجم: جمع بُرجُمة، وهي التي فوق الراجبة، والبنان: جمع بنانة، وهي: التي فوق البُرْجُمة، والأنامل: جمع أُنْمُلة، وهي: رأس الأصابع).[٢]

٣- المَشَاقِص جمع مِشْقَص: وهو نصل السهم إذا كان طويلا ولم يكن عريضا . وقال الداودي: (المِشْقص هو السكين، وهو تفسير على المعنى) .[٣]

٤- إنما تركت يداه على حالها ،وقد كان يمكن أن تعمّها المغفرة فتصلح؛ لِيُعْلَم قَدْر هذا الذنب، محّذرا السامع من مثل عمله .[٤]

٥- قوله :(هل لك في حِصْنٍ حَصِين ومَنَعَة) أي: جماعة تمنعك من أعدائك .

٦- وقوله: " فشخبت يداه ": أي سال دمهما. قال ابن دريد: كل شيء سال فقد شَخَبَ، والشَّخْبُ - بالضم والفتح - لما خرج من الضرع من اللبن، وكأنه الدفعة منه، وكذلك قالوا في المثل: شخب في الأرض وشخب في الإناء. وكأنه سُمّي بذلك من صوت وَقْعِهِ في الإناء. (وأصل الشخب: امتداد اللبن في الحلب، والشَخْبُ: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة).[٥]

---

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح للمـُظهري ١٩٣/٤ .

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٧٣/٦ .

(٤) من ١-٤ مستفاد من كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ١٠٤/٣-١٠٥ .

(٥) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي ٤٦١/٢ .

٧- فيه دليل على أنّ الله غفر لهذا الذي قتل نفسه .

٨- فيه دليل لأهل السنة ؛ على أنّ الله يغفر الذنوب لمن شاء من عباده .

٩- فيه ردّ على الخوارج والمعتزلة ممن قال:بالتخليد وتأبيد الوعيد على قاتل نفسه[٦]

١٠- قوله:(فاجتووا المدينة) ضمير جمع وهو ضمير يعود على الطفيل والرجل المذكور، ومن يتعلق بهما ،ومعناه كرهوا المقام بها لضَجَر ونوع من سَقَم .قال أبوعبيد والجوهري وغيرهما: اجتويتَ البلد إذا كرهتَ المقام به، وإن كنت في نعمة قال الخطابي :وأصله من الجوى ،وهو داء يصيب الجوف .

١١- فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه، أو ارتكب معصية غيرها ،ومات من غير توبة فليس بكافر ،ولا يقطع له بالنار ، بل هو في حكم المشيئة .أي : مشيئة الله إن شاء عذّبه ، وإن شاء غفر الله .

١٢- فيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي ، فإن هذا عوقب في يديه، ففيه ردّ على المرجئة القائلين بأن المعاصي لا تضرّ .[٧]

١٣- قوله: "اللهم ولِيدَيه فاغفرْ": الفاء في (فاغفر) جواب شرط مُقدَّر؛ يعني: إذا غفرتَ يا ربِّ لجميع جوارحه، فاغفر ليدَيه أيضًا برحمتك التي وسعَتْ كلَّ شيءٍ.[٨]

١٤- فيه ذكر رؤيا الصحابي للاعتبار بما يؤول تعبيره .

١٥- دعاء النبي ﷺ للجاني على نفسه بالمغفرة، ولا يجوز في حقه ﷺ أن يستغفر لمن وجب عليه الخلود بعد أن نهي عنه، مع ما يدل على كونه صحيح الحال في قصة الرؤيا من ذكر الهيئة الحسنة التي رآه فيها الطفيل .

١٦- قوله:(قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت) المراد : أنّ الله غفر له سائر أعضائه إلا يديه .

١٧- التأكيد والمبالغة ليطابق التشفع الوعيد بقوله: (لن نصلح ما أفسدت) ؛ فإن (لن) لتأكيد النفي في المستقبل.[٩]

---

(٦) من ٥-٩ مستفاد من إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ١/٤٠٢-٤٠٣ .

(٧) من ١٠-١٢ مستفاد من شرح النووي على صحيح مسلم٢/١٣٠-١٣١ .

(٨) المفاتيح في شرح المصابيح للمُظهري ٤/١٩٣-١٩٤ .

١٨- الطفيل بن عمرو الدوسي أسلم وصدّق النبي ﷺ بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى هاجر إلى النبي ﷺ وهو بخيبر بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيما عنده إلى أن قُبض النبي ﷺ وقتل رضي الله عنه يوم اليمامة شهيدا .روى عنه جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما.

١٩- هاجر الطفيل إلى النبي ﷺ بالمدينة ، وهاجر معه الصحابي مجهول الاسم ، لكنه دوسيّ ، من قوم الطفيل رضي الله عنهما .

٢٠- قبول شفاعة النبي ﷺ في هذا الصحابي .(١٠)

٢١- فضل دعاء النبي ﷺ على غيره ، لأنّه مُستجاب الدعوة .

٢٢- الجرأة العظيمة على هذه الفعلة الشنيعة .

٢٣- الصحابة رضي الله عنهم غير معصومين .

٢٤- لم يذكر الراوي أنّ النبي ﷺ صلّى عليه صلاة الجنازة . فعن جابر بن سمرة، أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ جرح، فآذته الجراحة، فدبّ إلى مشاقص، فذبح بها نفسه «فلم يصلّ عليه النبي ﷺ » قال: وكان ذلك منه أدبا.(١١)

٢٥- قال السندي: ويحتمل أنه غفر له لكونه فعل قبل العلم بالوعيد، أو ما قصد قتل نفسه .(١٢)

٢٦- على المسلم ألاّ يتجرأ على ارتكاب المعاصي ، فإنّه لا يأمن على نفسه من شؤم المعصية .

٢٧- أهميّة الرؤيا ومكانتها .

٢٨- اقرار النبي ﷺ على صحة هذه الرؤيا .

٢٩- أنّ هذه الرؤيا من الرؤى الظاهرة ، ورموزها واضحة جليّة .

٣٠- أنّ هذه الرؤيا رؤيا مبشّرة ومفرحة .

---

(٩) من ١٤-١٧ مستفاد من شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٤٥٨/٨ .

(١٠) من ١٨-٢٠ مستفاد من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ٢٢٦٣/٦ .

(١١) سنن ابن ماجة ٤٨٨/١ رقم ١٥٢٦ .وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢٥٤/١ رقم ١٢٣٧.

(١٢) ذكرها محققو مسند الإمام أحمد في الحاشية ٢٣٣/٢٣ ، وعزوها لحاشية السندي .و لم أعثر عليها .

٣١- قد يكون هذا الصحابي صديقا ،ومعروفا لدى الطفيل ، فأهمّه أمره ، وانشغل فكره بحاله ، فجاءت الرؤيا تطمينا ، وإيناسا من الله للطفيل في صاحبه ، ورفيقه في الهجرة .

٣٢- فضلُ الهجرة من مكة إلى المدينة .

٣٣- رواية الصحابي عن الصحابي .

٣٤- قوله :(فاغفر) المغفرة هي : طلب محو الذنوب ، وسَتْرها من الله .

٣٥- الأدب في طرح السؤال ، وجَعْلُه عرْضا بأسلوب الإغراء . في قوله:(هل لك في حِصْن حصين ومَنَعَة) .

٣٦- إرادة الخير من الصحابة ﷺ ؛ لنبيّهم ﷺ .

٣٧- إنّ هذا الحصن الذي عُرض على النبي ﷺ ،كان لقبيلة دوس في الجاهلية .

٣٨- فضيلة ومنقبة للأنصار . في قوله:(للذي ذخر الله للأنصار) .

٣٩- محبّة النبي ﷺ للأنصار ، وإيثارهم الحصن ، والمنعة على غيرهم .

٤٠- قد يُعرض على الإنسان موقعٌ ، أو أمرٌ فيرفض هذا ، إمّا لشيء في النفس ، أو لأنّ العرض غير مناسب .لأنّ الإنسان حرّ في الاختيار .

٤١- مهما كانت العروض التي ستقدّم للنبي ﷺ ، ومهما كانت مُغرية ، فإنّ الأمر بالنسبة للنبي ﷺ قد حُسِم ، وانتهى ، باختيار المدينة .

٤٢- المرض يُصاب به الإنسان بغير اختياره .

٤٣- الجَزَعُ ضدّ الصبر[١٣] ، وهو شدّة الحُزْن ،[١٤]وعدم حبسِ النفس عند المصيبة [١٥] ، ويستطيع الإنسان أن يملك نفسه ، فلا يجزع ، ويكسب الأجر والثواب من الله ،فالإنسان في هذا مخيّر .

٤٤- النفوس تتفاوت في القدرة على التحمّل ، والصبر على الشدائد .

٤٥- يُستحبّ قصّ الرؤيا ، على مُعبّر ، أو ناصح .

---

(١٣) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٢٨ .المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٠١/١ .

(١٤) إصلاح اللباب في قواعد اللغة لابن السرّاج ص ١١٠ .

(١٥) التعاريف للمناوي ص ٥٥٥ .

٤٦- تأثير جوّ المنطقة على الإنسان ، وخاصّة إذا كان طارئا عليها .
٤٧- مبدأ الحوار ظاهر في الحديث ، سواء بين النبي ﷺ ، وبين الطفيل ، أو بين الطفيل وبين صاحبه رضي الله عنهما .
٤٨- هذه الرؤيا كانت بركة على ذلك الرجل ، الذي انقطع عمله .
٤٩- وفيه أنّ الإنسان بعد موته يستفيد من عمل غيره ،فالنبي ﷺ دعا لهذا الرجل ، واستفاد فائدة عظيمة من هذا الدعاء ، وهو قول لكنه داخل في دائرة العمل.
٥٠- قوله :(قيل لي) قد يكون القائل هو الله جلّ جلاله ، أومن الملائكة ، وهم مأمورون من الله .
٥١- قد تكون هذه الرؤيا من كرامات الأولياء .
٥٢- قوله :(لن نصلح منك ما أفسدت) فما أجمل الصلاح ، لأنّ مآله إلى خير ، وما أقبح الفساد ، وعمل الشرّ .
٥٣- الفساد قد يقتضي بطلان العمل بالكليّة .وهو هنا فساد لم يُبطل عمل الرجل كلّه .بل أبطل جزءا منه .
٥٤- رحمة النبي ﷺ ، وشفقته بأصحابه الكرام ، وبأمّته .
٥٥- كان النبي ﷺ في حياته هو المرجع لأصحابه .يسألونه ،ويستفتونه،ويتحاكمون إليه .
٥٦- قوله :(فرآه الطفيل بن عمرو في منامه) فيه أنّ الرؤيا هي مايراه الشخص في منامه .
٥٧- قوله :(فرآه الطفيل) ، ثمّ كرر:(فرآه وهيئته حَسَنة) ثم قال :(ورآه مغطيا يديه) كان يكفي أن يقول : فرآه الطفيل بن عمرو في منامه ، وهيئته حسنة ، ومغطّيا يديه) ، ويستقيم الكلام على ذلك ، لكن يبدو أنّ المقام يقتضي التكرار للتوضيح ، أو لفرحه بهذه الرؤيا فكرر ذلك ،أو لاهتمامه بهذه الرؤيا لأنّها في صاحبه .
٥٨- منقبة ، وفضيلة لهذا الصحابي الدوسيّ .
٥٩- الستر على أصحاب المعاصي ، وعدم كشف أسمائهم ، إلا لحاجة ، أو مطلب شرعي صحيح .فهنا لم يصرّح باسم هذا الرجل رضي الله عنه من باب الستر .

٦٠- فَهْمُ الصحابة ، وفقههم ﷺ .

٦١- فيه فضل الرفقة الصالحة .

٦٢- فضل النفع المتعدي ، فالطفيل ﷺ نفع صاحبه .

٦٣- كون الصحابي هذا ﷺ قتل نفسه بنصّ الحديث ، لا يعني هذا انتقاص من قَدْر الصحابة ﷺ ، أو نَلْتَمس التعليلات الضعيفة لردّ هذا الفعل ، فهم بشر وليسو بمعصومين ﷺ ، وقد يأت الواحد منهم الكبيرة ، ولا يقدح في كونه صحابيا ، كفعل ماعز ، والغامديّة ، وكجلد بعض الصحابة في الخمر ، وجلد حسّان ، ومسطح ، وحمنة في قذف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عن الجميع ، فهذه كبائر[١٦] ، لكن لهم من الأعمال الجليلة ، ماتكون شافعة لهم عند الله ، فهي وإن كانت كبائر ، لكن تغوص في جانب حسناتهم ﷺ ، هجرتهم ، ونصرتهم ، وجهادهم مع النبي ﷺ ، ومابذلوه من تضحيات في سبيل نشر الدين ، والعلم .فما ارتكبه هذا الصحابي يُعدّ كبيرة من كبائر الذنوب ، وهو فِعل فرديّ لا يُقرّ عليه، و لكن شفع له أمران :

الأوّل : هجرته إلى المدينة ، وهي الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ ، وترك الأهل ، والذريّة ، والأموال ، والأوطان .

الثاني : دعاء النبي ﷺ له بأن يغفر الله ليديه . وهو دعاء من النبي ﷺ مُقطوعٌ به ، أي : أنّ الله استجاب لنبيه ﷺ في دعائه هذا .

ففعل هذا الصحابي لا يبيح لأحد أن يَقْتل نفسه ، للنصوص الواردة من الآيات ، والأحاديث التي تنهى عن هذا الفعل ، وتتوعّد عليه أشد الوعيد والعقوبة .فمن الآيات قوله تعالى : {وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا }.[١٧] ومن الأحاديث

---

(١٦) أقول : بل وأشدّ من فِعْلِ ذلك ، من ارتدّ من الصحابة ﷺ وخرج من الدّين ، ،كالأشعث بن قيس بعد وفاة النبي ﷺ ، وأسلم في عهد أبي بكر ﷺ . (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر١/١٥٩-٢٣٩)، وعبدالله بن سعد بن أبي السرح وعاد فأسلم وبايع في عهد النبي ﷺ .(المرجع السابق ٤/٩٤)، ثمّ تابا وحسنت توبتهما ، ولم يقدح ذلك في عدّهما من الصحابة .

(١٧) سورة النساء آية ٢٩ .

قول النبي ﷺ :"من تردّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردّى فيه خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن تحسى سُمّا فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا" . متفق عليه . والله أعلم .[١٨]

(١٨) صحيح البخاري ١٣٩/٧ رقم ٥٧٧٨ . صحيح مسلم ١٠٣/١ رقم ١٠٩ .